
سلسلة
قصص في الأخلاق
٦
قصص في التواضع
عبد العزيز سيد هاشم
دار الغوثاني
منتدى اقرأ الثقافي
www.iqra.ahlamontada.com



سلسلة قصص الأخلاق

٦

قصص في

التَّواضع

إعداد

عبد العزيز سيد هاشم



المـــوضـــوع : الآداب (القصص)
العــنــوان : قصص في التَّواضع
إعـــداد : عبد العزيز سيد هاشم
عدد الصفحات : ١٦
قياس الصفحات : ١٤×٢٠
رقم التسلسل : ٥٩

الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م





سورية - دمشق - حلبوني - ص.ب ٢٥٢٣٧
فاكس : ٢٤٥٤٠١٣ ١١ ٩٦٣+ هاتف ٢٤٥٣٦٣٨ ١١ ٩٦٣+
algwthani@scs-net.org

الأمِيرُ يحْمِلُ التِّبْنَ

كَانَ سَلْمَانُ الْفَارِسِي ـ رَضِي اللَّهُ عَنْه ـ أميرًا عَلَى المَدَائِن. وذَاتَ يومٍ، جَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ أهْلِ الشَّامِ إلَى الْمَدَائِنِ، ومَعَهُ حِمْلُ تِبْنٍ، فَبَحَثَ عَنْ شَخْصٍ يحْمِلُ لَهُ هَذَا التِّبْنَ، فَلَمْ يشَاهِدْ سِوى سَلْمَانَ، فَظَنَّ أنَّهُ حَمَّالٌ، فَنَادَاهُ، وقَالَ لَهُ: تَعَالَ.. احْمِلْ.

فَحَملَ سَلْمَانُ التِّبْنَ، وسَارَ بِهِ إلَى مَنْزِلِ الرَّجُلِ.

وفِي الطَّرِيقِ، شَاهَدَ النَّاسُ سَلْمَانَ يحْمِلُ التِّبْنَ لِهَذَا الرَّجُلِ، فَقَالُوا لَهُ: هَذَا الأميرُ!

فَقَالَ الرَّجُلُ مُعْتَذِرًا لسَلْمَانَ: لَمْ أعْرِفْكَ، وأرَادَ أنْ يحْمِلَ هُوَ التِّبْنَ.

فَقَالَ سَلْمَانُ: لا، حَتَّى أبْلُغَ مَنْزِلَكَ.

مَلِكُ الْحَبَشَةِ

ذَاتَ يومٍ، كَانَ النَّجَاشِي ـ مَلِكُ الحَبَشَةِ ـ جَالِسًا عَلَى عَرْشِه، وفَجْأةً قَامَ وتَرَكَهُ وجَلَسَ عَلَى الأرْضِ، فَانْدَهَشَ وُزَرَاءَهُ ومُسَاعِدُوهُ مِنْ ذَلِكَ، وسَألُوهُ عَنِ السَّبَبِ فِي ذَلِكَ.

فَقَالَ لَهُمْ: إنِّي وَجَدْتُ فِيمَا أنْزَلَ اللَّهُ ـ تَعَالَى ـ عَلَى الْمَسِيحِ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ يقُولُ لَهُ: «إذَا أنْعَمْتُ عَلَى عَبْدِي نِعْمَةً، فَتَواضَعَ إلَيّ أتْمَمْتُهَا عَلَيهِ». وإنِّي وُلِدَ لِيَ اللَّيلَةَ غُلامٌ، فَتَواضَعْتُ لِذَلِكَ شُكْرًا للَّهِ تَعَالَى .

أنْتَ أخِي

أرْسَلَ عُمَرُ بْنُ الخطَّابِ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه ـ حُذَيْفَةَ بْنَ اليمَانِ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ أميراً علَى مَدِينَةِ المدَائِنِ، وأرْسَلَ مَعَهُ رِسَالَةً إلَى أهْلِ المَدَائِنِ يُوصِيهِم فِيهَا بِطَاعَةِ حُذَيْفَةَ، وسَمَاعِ كَلامِهِ، وإعْطَائِه مَا يطْلُبُ مِنْهُم.

فَتَوَجَّهَ حُذَيْفَةُ إلَى المَدَائِنِ، وَهُوَ يركَبُ حِمَارَهُ، ويحْمِلُ طَعَامَهُ، فَلَمَّا وَصَلَ المَدَائِنَ اسْتَقْبَلَهُ أهْلُهَا، فَلَمَّا قَرأَ عَلَيهِم رِسَالَةَ أمِيرِ المُؤمِنِينَ قَالُوا لَهُ: سَلْنَا مَا شئتَ؟ فَقَالَ: أسْألُكُمْ طَعَامًا آكُلُهُ، وعَلَفَ حِمَارِي هَذَا، مَا دُمْتُ فِيكُمْ.

وذَاتَ يومٍ، أرَادَ عُمَرُ أنْ يرَى هَلْ غَيَّرَتِ الإمَارَةُ مِنْ حَالِ حُذَيْفَةَ أمْ لا، فَبَعَثَ إلَيهِ أنْ يأتِي الْمَدِينَةَ.

وحِينَمَا اقتَرَبَ حُذَيْفَةُ مِنَ الْمَدِينَةِ؛ اخْتَبَأَ لَهُ عُمَرُ فِي الطَّرِيقِ لِيرَاهُ، فَرآهُ رَاكِباً حِمَارَهُ؛ عَلَى الحَالِ التِي خَرَجَ بِهَا مِنْ قَبْلُ، فَأسْرَعَ إلَيهِ، واحْتَضَنَهُ فَرِحاً بِهِ، وقَالَ لَهُ: أنْتَ أخِي وأنا أخُوكَ.

* * * * *

تَواضُعٌ مُتَبَادَلٌ

يُحكَى أنَّ زَيدَ بْنَ ثَابِتٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه ـ صَلَّى عَلَى جَنَازَة، ثُمَّ أَرَادَ أنْ يركَبَ بَغْلَتَهُ، فَجَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاس ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهما ـ وأمْسَكَ الرِّكَابَ (الَّذي يَضَعُ فِيه الرَّاكِبُ قَدَمَهُ أثْنَاءَ صُعُودِهِ الدَّابَّةَ) لِيُسَاعِدَ زَيداً ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه ـ عَلَى الرُّكُوبِ.

فَطَلَبَ زَيدٌ منْهُ أنْ يتْرُكَ الرِّكَابَ، وقَالَ لَهُ: خَلِّ عَنْهُ يابْنَ عَمِّ رَسُول اللَّه ﷺ. فَرَفَضَ ابْنُ عَبّاسٍ، وقَالَ: هكَذَا أُمِرْنَا أن نَفْعَلَ بِالْعُلَمَاءِ والْكُبَرَاءِ. فَأَسْرَعَ زَيدُ بْنُ ثَابِتٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه ـ وأمْسَكَ يدَ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَبَّلَهَا، وقَالَ: وهكَذَا نَفْعَلُ بِأَهْلِ بَيتِ نَبِيِّـنَا ﷺ.

* * * * *

دَرْسٌ فِي التَّوَاضُعِ

ذَاتَ يومٍ، دَخَلَ الرَّسُولُ ﷺ السُّوقَ ومَعَهُ أبُو هُرَيرَةَ - رَضِي اللَّهُ عَنْه - ، فاشْتَرَى قُمَاشًا بِأرْبَعَةِ دَرَاهِمَ.

ولَمَّا جَاءَ الْوَزَّانُ لِيزِنَ تِلْكَ الثِّيَابَ، قَالَ لَهُ النَّبِي ﷺ: «زِنْ وأَرْجِحْ». فَقَالَ الوَزَّانُ: إنَّ هَذِهِ لَكَلِمَةٌ مَا سَمِعْتُهَا مِنْ أحَدٍ.

فَقَالَ لَهُ أبُو هُرَيرَةَ - رَضِي اللَّهُ عَنْه - : كَفَى بِكَ جَفَاءً ألاَّ تَعْرِفَ نَبِيَّكَ؟! فَطَرَحَ الرَّجُلُ الْمِيزَانَ، ووَثَبَ إلَى يَدِ الرَّسُولِ ﷺ يقَبِّلُهَا، فَأبْعَدَ الرَّسُولُ ﷺ يدَهُ، وقَالَ: «مَا هَذَا؟! إنَّمَا يفْعَلُ ذَلِكَ الأعَاجِمُ بِمُلُوكِهَا، ولَسْتُ بِمَلِكٍ إنَّمَا أنَا رَجُلٌ مِنْكُمْ».

فَوَزَنَ الرَّجُلُ الثِّيَابَ، وأخَذَهَا النَّبِي ﷺ، فأرَادَ أبُو هُرَيرَةَ - رَضِي اللَّهُ عَنْه - أنْ يحْمِلَهَا، فَرَفَضَ ﷺ، وقَالَ لَهُ: «صَاحِبُ الشَّيءِ أحَقُّ بِشَيئِه أنْ يحْمِلَهُ، إلا أنْ يكُونَ ضَعِيفاً فَيعْجَزُ عَنْهُ، فَيعِينُهُ أخُوهُ الْمُسْلِمُ».

* * * * *

تَوَاضُعٌ لِلْعُلَمَاءِ

ذَاتَ يومٍ، أرْسَلَ الخَلِيفَةُ العَبَّاسِي هَارُونُ الرَّشِيدُ إلَى العَالِمِ الجَلِيلِ أبِي مُعَاوِيَةَ الضَّرِيرِ، يدْعُوهُ إلَى الطَّعَامِ، وكَانَ أبُو مُعَاوِيَةَ كَفِيفَ البَصَرِ.

فَذَهَبَ أبُو مُعَاوِيَةَ، وتَنَاوَلَ الطَّعَامَ، ثُمَّ قَامَ لِيغْسِلَ يدَيه، فَصَبَّ رَجُلٌ لَهُ الْمَاءَ.

فَلَمَّا انْتَهَى مِنْ غَسْلِ يديه قَالَ لَهُ الْخَلِيفَةُ: يا أبَا مُعَاوِيةَ، أتَدْرِي مَنْ صَبَّ الْمَاءَ عَلَى يدَيكَ؟ فَقَالَ أبُو مُعَاوِيةَ: لا، يا أمِيرَ الْمُؤمِنينَ.

فَقَالَ هَارُونُ الرَّشِيد: أنَا.

فَقَال أبُو مُعَاوية: يا أمِيرَ الْمُؤمِنِينَ، أنْتَ تَفْعَلُ هَذَا إجْلالاً للعِلْمِ؟

قَالَ: نَعَمْ.

* * * * *

تَوَاضُعُ الفَارُوقِ

ذَاتَ يومٍ، كَانَ أَمِيرُ الْمُؤمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه ـ خَارِجَ الْمَدِينَةِ، وكَانَ الْجَوُّ حَارًّا، فَوضَعَ ثَوْبَهُ عَلَى رَأْسِهِ.

وبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ مَرَّ بِهِ غُلامٌ يرْكَبُ حِمَارًا، فَقَالَ: يا غُلامُ، احْمِلْنِي مَعَكَ.

فَنَزَلَ الغُلامُ سَرِيعًا عَنِ الْحِمَارِ، وقَالَ ارْكَبْ يا أَمِيرَ الْمُؤمِنِينَ.

فَرَفَضَ عُمَرُ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه ـ ، وقَالَ لِلْغُلامِ: ارْكَبْ، وأَرْكَبُ أَنَا مِنْ خَلْفِكَ؛ فَصَاحِبُ الدَّابَّةِ أَحَقُّ بِصَدْرِهَا.

فَرَكِبَ الغُلامُ، ثُمَّ رَكِبَ عُمَرُ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه ـ خَلْفَهُ، حَتَّى دَخَلَ الْمَدِينَةَ، والنَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيهِ.

* * * * *

أهْلُ النَّـارِ

يُحْكَى أنَّ رَجُلَينِ جَلَسَا يتفَاخَرَانِ، وكُلٌّ مِنْهُمَا يتَبَاهَى عَلَى الآخَرِ، فَقَالَ أحَدُهُمَا مُفَاخِرًا بِأجْدَاده: أنَا فُلانُ ابْنُ فُلانٍ.. حتَّى عَدَّ تِسْعَةً مِنَ الأجْدَادِ، ثُمَّ قَالَ لِصَاحِبِهِ: فَمَنْ أنْتَ؟

فَسَمِعَ النَّبي ﷺ ذَلِكَ الكَلَامَ، فَأرَادَ أنْ يعَلِّمَهُمَا التَّواضُعَ، ويرْشِدَهُمَا إلَى تَرْكِ المَعْصيةِ والمُبَاهاةِ، فَقَالَ لَهُمَا: «افْتَخَرَ رَجُلانِ عِنْدَ مُوسَى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ، وذَكَرَ رَجُلٌ تِسعَةً مِنْ آبائه. فَأوحَى اللَّهُ ـ تَعَالَى ـ إلَى مُوسَى ـ عَلَيهِ السَّلامُ ـ : «قُلْ لِلَّذِي افتَخَرَ: بَل التِّسْعَةُ مِنْ أهْلِ النَّارِ وأنْتَ عَاشِرُهُم».

* * * * *

الرَّشِيدُ والبُهْلُولُ

كَانَ الْخَلِيفَةُ هَارُونُ الرَّشِيدُ فِي طَرِيقِهِ إِلَى الحَجِّ، فَرآهُ الْبُهْلُولُ بْنُ عَمْرٍو، فَقَالَ لَهُ: يا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ! تَواضُعُكَ فِي سَفَرِكَ هَذَا خَيرٌ مِنْ تَكَبُّرِكَ.

فَبَكَى الرَّشِيدُ، وقَالَ: أَحْسَنْتَ يا بُهْلُول، زِدْنَا.

فَقَالَ بُهْلُول: أَيَّمَا رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً وجَمَالاً وسُلْطَانًا، فَأَنْفَقَ مَالَهُ، وعَفَّ جَمَالَهُ، وعَدَلَ فِي سُلْطَانِهِ، كُتِبَ فِي دِيوانِ اللَّهِ مِنَ الأَبْرَارِ.

فَقَدَّمَ لَهُ الرَّشِيدُ جَائزَةً. فَقَالَ البُهْلُولُ: لا حَاجَةَ لِي بِهَا، رُدَّهَا إِلَى مَنْ أَخَذْتَهَا مِنْهُ.

فَعَرَضَ الرَّشِيدُ عَلَيهِ رَاتِباً شَهْرِيَّاً، فَرَفَضَ، وقَالَ: يا أَمِيرَ الْمُؤمِنِينَ، أَنَا وأَنْتَ عِيالُ اللَّهِ، فَمِنَ الْمُحَالِ أَنْ يَذْكُرَكَ وينْسَانِي.

* * * * *

عَبْدٌ رَسُولٌ

ذَاتَ يومٍ، كَانَ مَلَكُ الوَحْيِ جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلامُ - يجْلِسُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَنَزَلَ عَلَيهِمَا مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ، وقَالَ للرَّسُولِ ﷺ: «يا مُحَمَّدُ، أرْسَلَنِي إليكَ رَبُّكَ، فَقَالَ: أفَمَلِكاً نَبِيّاً يجْعَلُكَ اللَّهُ، أمْ عَبْداً رَسُولاً؟».

فَنَظَرَ الرَّسُولُ ﷺ إلَى جِبْرِيلَ يسْتَشِيرُهُ، فَأشَارَ عَلَيهِ جِبْرِيلُ أنْ يتَواضَعَ لِرَبِّهِ - عَزَّ وجَلَّ - .

فَأخَذَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَشُورَةِ جِبْرِيلَ - عَلَيْهِ السَّلامُ -، وقَالَ لِلْمَلَكِ: «بَلْ عَبْدًا رَسُولاً».

وهكَذَا اخْتَارَ النَّبِيُّ ﷺ أنْ يكُونَ رَجُلاً عَادِيّاً، وفَضَّلَ التَّواضُعَ للَّهِ عَلَى الْمُلْكِ والْمَالِ.

* * * * *

حَقِيقَةُ الْمُتَكَبِّرِ

ذَاتَ يومٍ، لَبِسَ أَمِيرُ الْبَصْرَةِ الْمُهَلَّبُ بْنُ أَبِي صُفْرَةَ جُبَّةً جَدِيدَةً مِنَ الْحَرِيرِ، ومَشَى يتَبَخْتَرُ وهُوَ مُعْجَبٌ بِنَفْسِهِ.

فَرَآهُ التَّابِعِي الزَّاهِدُ مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ: يا عَبْدَ اللَّهِ، هَذِهِ مِشْيَةٌ يكْرَهُهَا اللَّهُ ورَسُولُهُ.

فقَال: الْمُهَلَّبُ: أمَا تَعْرِفُنِي؟

فَأجَابَ مُطَرِّفُ: أعْرِفُكَ، أَوَّلُكَ نُطْفَةٌ مَذِرَةٌ (خَبِيثَةٌ)، وآخِرُكَ جِيفَةٌ قَذِرةٌ، وأَنْتَ بَينَ ذَلِكَ تَحْمِلُ العَذِرَةَ (يقْصِدُ الفَضَلاتِ الخَبِيثَةَ الَّتِي تتَبَقَّى مِنَ الطَّعَامِ بَعْدِ هَضْمِهِ وامْتِصَاصِهِ).

فَلَمَّا سَمِعَ الْمُهَلَّبُ ذَلِكَ الكَّلامَ سَارَ مُتَواضِعاً فِي مِشْيَتِهِ، وعَادَ إلَى رُشْدِهِ، وتَرَكَ الكِبْرَ والْخُيَلاءَ.

* * * * *

عَفْوٌ وتَوَاضُعٌ

دَخَلَ رَسُولُ اللَّه ﷺ مكَّةَ فَاتحاً مُنْتَصراً، وكَانَ معَهُ جَيشٌ عَظِيمٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، عَدَدُهُمْ عَشْرَةُ آلافِ مُقَاتِلٍ، يحْمِلُونَ السِّلاحَ، ويلْبسُونَ الدُّرُوعَ الْحَدِيدِيةَ الَّتِي تَحْمِيهِمْ.

ودَبَّ الرُّعْبُ فِي قُلُوبِ مُشْرِكِي مكَّةَ، واخْتَفَى الرِّجَالُ وَرَاءَ الأبْوابِ، واجْتَمَعَ بَعْضُهُم فِي الْمَسْجِدِ الحَرَامِ خَائفِينَ، يرْقُبُونَ مَا سَيحْدُثُ لَهُمْ، ويتَسَاءلُونَ: هَلْ سَيقْتُلُهُمُ الرَّسُولُ ﷺ جزَاءَ إِيذَائِهِمُ للمُسْلِمِينَ، أمْ سَيعْفُوْ عَنْهُمْ؟

وتَقَدَّمَ جَيشُ الْمُسْلِمِينَ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ علَى نَاقَتهِ، قَدْ خَفَضَ رَأْسَهُ، حَتَّى إنَّ وَجْهَهُ ﷺ كَادَ يلْمَسُ ظَهْرَ نَاقَتهِ مِنْ شِدَّةِ تَواضُعهِ؛ شُكْرًا للَّهِ ـ سُبْحَانَهُ ـ عَلَى نِعْمَةِ النَّصْرِ والفَتْحِ الْمُبِينِ.

وأنْعَمَ النَّبِيُّ ﷺ على أهْلِ مكَّةَ، فَعفَا عَنْهُمْ بِغَيرِ فدَاء، وقَالَ قَوْلَتَهُ الْمَشْهُورَةَ: «اذْهَبُوا فَأنْتُمُ الطُّلَقَاءُ» (والطُّلَقَاءُ: الأسْرَى الْمَعْفُوُّ عَنْهُمْ بِغَيرِ فِدَاءٍ)، فَشكَرُوا للنَّبِيِّ ﷺ كَرَمَهُ، وعَفْوَهُ عَنْهُمْ، ودَخَلُوا جَمِيعاً فِي دِينِ اللَّهِ.

سَيِّدُ الْمُتَوَاضِعِينَ

أَلْقَى اللَّهُ - تَعَالَى - عَلَى رَسُولِهِ ﷺ الْمَهَابَةَ، فَكَانَ الرَّجُلُ إذا رَآهُ لأَوَّلِ مَرَّةٍ هَابَهُ، فَإِذَا خَالَطَهُ بَعدَ ذَلِكَ أَحَبَّهُ، واطْمَأَنَّ إِلَيهِ.

فَذَاتَ يوْمٍ، دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا كَلَّمَهُ الرَّسُولُ ﷺ ارْتَعَشَ الرَّجُلُ، وخَافَ.

فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ ﷺ: «هَوِّنْ عَلَيكَ، فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيشٍ تَأْكُلُ القَدِيدَ» (اللَّحْمَ اليابِس). فَاطْمَأَنَّ قَلْبُ الرَّجُلِ، وذَهَبَ عَنْهُ مَا نَزَلَ بِهِ مِنَ الخَوفِ والْهَيْبَةِ، بِتَواضُعِ الرَّسُولِ ﷺ، ولِينِ جَانِبِه.

وصُوَرُ التَّوَاضُعِ فِي حَياةِ الرَّسُولِ ﷺ كَثِيرَةٌ، فَقَدْ كَانَ يسَاعِدُ أَهْلَهُ فِي الْبَيتِ، فَيَقْضِي حَوَائِجَهُمْ، ويخِيطُ ثِيابَهُ، ويصْلِحُ حِذَاءَهُ بِنَفْسِه. وكَانَ ﷺ يرْكَبُ الْحِمَارَ، ويلْبَسُ الصُّوفَ، ويجَلِسُ عَلَى الأَرْضِ، ويجِيبُ دَعْوَةَ الْمَمْلُوكِ، ويحْلِبُ الشَّاةَ، ويناديهِ الرَّجُلُ فَيقُولُ لَهُ: «لَبَّيكَ.. لَبَّيكَ».

*****

جَزَاءُ الْمُتَكَبِّرِ

ذَاتَ يومٍ، قَدَّمَ رَسُولُ الله ﷺ طَعَامًا إِلَى رَجُلٍ عِنْدَهُ، فَأكَلَ الرَّجُلُ بِشِمَالِهِ. فَقَالَ لَهُ ﷺ: «كُلْ بِيَمِينِكَ».

وكانَ بِاسْتِطَاعَةِ الرَّجُلِ أنْ يأكُلَ بِيَمِينِه، كَمَا أمَرَهُ الرَّسُولُ ﷺ، لَكِنَّهُ تَكَبَّرَ، ولَمْ ينَفِّذْ أمْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ولَمْ يأكُلْ بِيَمِينِهِ، وقَالَ: لا أسْتَطِيعُ.

فَقَالَ ﷺ: «لا اسْتَطَعْتَ، مَا مَنَعَهُ إلا الكِبْرُ».

فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لِدُعَاءِ الرَّسُولِ ﷺ، فَأُصِيبَتْ يدُ الرَّجُلِ بِالشَّلَلِ، فَلَمْ يسْتَطِعْ أنْ يرْفَعَهَا إِلَى فَمِهِ، بِسَبَبِ كِبْرِهِ، وعِنَادِهِ، وعَدَمِ طَاعَتِهِ لِلرَّسُولِ ﷺ.

الخَلِيفَةُ والغَنَمُ

كَانَ أبُو بكْرٍ الصِّدِيقُ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه ـ يسْكُنُ فِي حَيٍّ مِنْ أحْياءِ الأنْصَارِ، فَكَانَ يسَاعِدُهُمْ، ويحْلِبُ لَهُمْ أغْنَامَهُم وأبْقَارَهُم، فَقَدْ كَانَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه ـ مُتَوَاضِعًا فِي أخْلاقِهِ ومَلْبَسِهِ ومَطْعَمِهِ.

وأوَّلُ مَا تَوَلَّى أبُوبكْرٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه ـ الخِلافَةَ سَمِعَ جَارِيَةً مِنْ جَوَارِي الْحَيِّ تَقُولُ: الآنَ لا تُحْلَبُ لَنا مَنَائِحُنَا (مَا يُحْلَبُ مِنَ الأغْنَامِ).

فَقَالَ لَهَا ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه ـ : لأحْلِبَنَّهَا لَكُمْ، وإنِّي لأرْجُو ألا يغَيِّرَنِي مَا دَخَلْتُ فِيهِ مِنَ الخِلافَةِ؛ عَنْ خُلُقٍ كُنْتُ عَلَيهِ.

قِصَصٌ فِي التَّوَاضُعِ

التَّوَاضُعُ خُلُقٌ عَظِيمٌ، وهُوَ حِلْيَةُ الأنْبِياءِ، وزينَةُ العُلماءِ والأمَرَاءِ، وصِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ الْمُسْلِمِ الْحَقِّ.

وقَدْ أمرَ بِهِ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ ، فقَالَ: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥]. ورَغَّبَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فقَال: «مَا تَوَاضعَ أحَدٌ لِلَّهِ إلا رَفَعَهُ».

ومَنْ تَخَلَّقَ بِهِ كَانَ وَاحِدًا مِنْ عِبَادِ الرَّحْمَن، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

وَمَنْ تَخلَّى عَنْهُ لِكِبْرٍ فِي نَفْسِهِ كَانَ عَلَى خَطَرٍ عَظِيمٍ، قَالَ ﷺ: «لا يدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ».

والتَّوَاضُعُ مَعْنَاهُ الْبَسَاطَةُ، ولِينُ الجَانِبِ، والتَّقَرُّبُ إلَى النَّاسِ، وعَدَمُ التَّعَالِي عَلَيهِمْ.

وهَذِهِ القِصَصُ تَدْعُونَا إلَى التَّوَاضُعِ، وتُحَذِّرُنَا مِنَ الْكِبْرِ، فَهَيَّا نَأخُذْ مَا فِيهَا مِنْ عِظَةٍ وعِبْرَةٍ.

* * * * *

سلسلة قصص في الأخلاق

٨١٠٠٥٦